

الحكمة وإنشاء مبشراتها

تأليف
د. علي أحمد الخطيب

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩

مقرون الطبع والنشر مع مخطوطة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٩ / ٨٩٠٥

دار اللواء للطباعة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد

رحمة الله - تعالى - للعالمين ، وعلى آله وصحبه

وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

وبعد :

وقد تم - بنعمته تعالى - هذا الكتاب :

« الجنة ونساء - مبشرات - بها »

وبين يدي القارئ - ما أذن الله - تعالى - وأراد خطّه من أبوابه وفصوله .

ولقد عُنيتُ وعانيتُ في اختيار العنوان ضراعة لله - تعالى - أن يوفقني - عز وجل - إلى تسمية له ليست جامعة ولا مانعة أن يكون للمؤمنات - على شاكلة هؤلاء المبشرات بها - أن ينعمن بفضل الله على خير ما يُحبِّبن ويرجون ، فقد كنت أخشى أن تعطى تسمية الكتاب حصراً لنوع وطردها لآخر ، والحال - ابتداء - هو فضل الله - جلّ علاه - الذي بيده الخير وحده ، وهو ذو الفضل العظيم ، وليس لأحد - في هذا المقام - أن يقول : هذه من أهل الجنة ، وتلك من أهل النار .

وإنما كان أدنى خطأ في العنوان يعطي للساخر ، ولمن يستخف بهذا اللون من البحوث - مجالاً لطبل أجوف ، وسخرية أسخف ، واستتاج خبيث لم يرد على ذهن

الكاتب بأية حال .

لا سيما وقد وَسَّعَتْ جَنَّةُ اللَّهِ - تعالى - كل المؤمنين والمؤمنات حتى بقي منها فراغ خَلَقَ اللَّهُ لَهُ - بعد الْقِيَامَةِ - بشرًا يسكنه : بشرًا لم يرَ الدنيا ولم تَرَهُ ، خلقهم تعالى - خلقًا خاصًا كما خلق الحور العين بعيدًا عن الدنيا وما فيها من شئون عانى منها البشر .

وهؤلاء المبشرات - عيون هذا الكتاب - لَسُنَّ على طبقة واحدة في الصفة الجاذبة التي أهلتهن لمكانة رَضِيها الله - عز وجل - لهن :

ففيهن المبشرات صراحة بالجنة .

ومنهن الطالبات لها ، وأُجِبْنَ إليها .

ومنهن من طيبتها الشهادة .

كما هو مبسوط مع كل سيدة منهن .

و شاء الله - تعالى - أن ينير لي الطريق في الحديث عن «مريم» سيدة نساء العالمين أن أقف على المراد من قول الأخبار لها : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾

ولكم أحمد الله - عز وجل - على ذلك - حمداً خالصاً مخلصاً له - سبحانه - رب العالمين .

اشتمل هذا الكتاب من حيث مادته على ثلاثة أبواب :

* الجنة .

* نساء مرشحات للجنة .

* . . ونساء مبشرات بها

فأما المنهج فقد التزمت فيه أموراً ثلاثة لا أخطأها بحال :

أ - فلا أخط موضوعاً في الكتاب إلا مستمداً مباشرة من التنزيل العزيز - أي من هذا القرآن الكريم .

ب - ثم أحيط علماً - بفضل الله تعالى - بما جاء في صحيح السنة الشريفة خاصاً به ، ولم يتعقبه أهل التخصص بوضعية .

ج - ثم أنتهي إلى شرح الأئمة من المفسرين والمحدثين في أمر الآية الكريمة والحديث الشريف .

ولم أطرق أبداً موضوعاً - في حديث الجنة - ليس له صلة متينة مباشرة بهذه الثلاث . من هنا كانت مراجع هذا الكتاب محصورة - من حيث مادتها ، وإن كانت غنية الاستيعاب ، والحمد لله تعالى - في : القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وشرح هذا وذاك .

ويجد القارئ والقارئة هذه المراجع في الحاشية من صفحات الكتاب ، كما يجدا ثبثاً بها في نهايته .

* * *

وأود أن ألفت النظر هنا خاصة بحديث الجنة - إلى حقيقة أخروية ذات علاقة ذهنية بمألوف حياتنا نحن البشر في فهم الأمور واستيعابها ، والحكم عليها ، فأقول :
إننا أمام (منطوق) غير ما تعودناه فهما وتحصيلاً بالنسبة للآخرة .

فإننا أمام أمور (غيبية) هي أمور الآخرة التي منها الجنة ، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم ، وهذه الحال تحتم عليّ واجب الإيضاح لهذا الأمر :

نحن - في حياتنا الدنيا - لا نفهم (اسماً) ولا نستوعب معناه إلا إذا (تصورنا)

حقيقته فإذا قيل أماننا: (بستان إبراهيم مثمر)، فنحن أمام أسماء ثلاثة نفهمها جيدا، لأننا نعرف: ما البستان إذ هو أرض بها نجيل أخضر وبها أشجار ونخيل وماء أعد لسقيها.

وإبراهيم إنسان ونحن نعلم ما الإنسان.

ونعرف الثمر من يرتقال أو موز أو عنب أو خلاف ذلك.

أي - باختصار - نحن على علم بـ (الاسم) وعلم بذات (المسمى) من إنسان أو عنب أو يرتقال . . إلخ

لذا نحن نفهم هذه الجملة (بستان إبراهيم مثمر) بسرعة، لعلنا بمسمياتها.

هذا ونحن - في دنيانا - حدثنا القرآن الكريم بأسماء فاكهة، أو أدوات من نعيم الجنة ذات أسماء موجودة في حياتنا، ولقد نفهم منها أنها مماثلة لما في دنيانا.

وهذا خطأ، فليس في الجنة شيء مماثل لما في الدنيا إلا مجرد الأسماء، خُوطِبْنَا بها لتمثل المعنى، فقط لكن (مُسَمَّياتها) شيء مختلف تماما: هيئة وحجما ومذاقا وهضما عما في الدنيا.

أقول هذا؛ لأننا لن نفقد قارئاً أو قارئة يودُّ وتودُّ أن تستزيد معرفة بأمور الآخرة، فتَوَّجَّهْ - مثلاً بكلمة - (الشجرة في الجنة)؛ فتتمثلها كشجرة في الدنيا لكنها في الحقيقة على نسيج ليس في دنيانا.

ولقد يلزمنا - والله - ما لزم من أدركته حرفة الأدب؛ فأقدم الشكر مصحوباً مقدماً برجاء إلى الله - عز وجل - أن يثيب والدي بغيث رحمته.

وأن يثيب أخي الأستاذ الدكتور محمود رسلان على كريم جهده الذي أخرج هذا الكتاب إلى النور، بإذنه تعالى.

وأسأل الله - تعالى - طيبة مثوبته لأخوي فضيلتي : الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة، والشيخ أحمد حسن جابر رجب، فقد كدّتهما بحثاً وتنقيباً عطاء لهذا الكتاب .
وأشكر السيدة زوجي :

ليس على كونها زوجة يسرت لي الهدوء التام اللازم للتأليف فقط ؛ بل أشكر لها أمومتها الصالحة فيما أنجبنا من أبناء صاروا على يديها - بمشيئة الله تعالى - عيوناً بارّة بهذا الوطن الغالي : مصر العزيزة ، جزى الله - تعالى - خيراً كل من أحسن إليها ، ولا نال خيراً قط كل من طعنها بسوء نال من خيراتها وأبنائها ؛ فإنها مصر التي لم تُسَرَّ حتى إلى أعدائها ؛ فلا نال خيراً من قَصَفَها ؛ فأنقص منها .

وجزى شكري من بعد لابنة أخي عبير محمد عبد الواحد الخطيب التي راجعت فصولاً من الكتاب وذيلتها بتعليقاتها الفنية .

ثم تلميذتي البارة : ياسمين إسماعيل إبراهيم على ما قدمته لي من «تراجم عبرية» كان الكتاب في حاجة إليها داعياً لها ب (الدكتوراه) قريباً بمشيئته تعالى .

غفر الله لنا ، وجزاكم الله عني خير الجزاء ،

د / علي أحمد الخطيب

الأحد ٢٣ من ذي الحجة ١٤٢٩ هـ

٢١ / ١٢ / ٢٠٠٨ م

الجنة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين الجنة وأهلها:

سمّاها - تعالى - في التنزيل العزيز:

﴿ دَارُ السَّلَامِ ﴾ . . . ﴿ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ . . . ﴿ دَارُ الْمَقَامَةِ ﴾ (١)

قال قتادة بن دُعامة السدوسي البصري، والحسن بن يسار البصري:

«السلام» هو الله، وداره الجنة، وسُمِّيَتِ الجنة: «دار السلام» لأن من دخلها سَلِمَ من الآفات. زاد الحسن البصري:

إن السلام لا ينقطع عن أهل الجنة، وهو تحيتهم كما قال - تعالى:

﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ ا. هـ (٢)

والجنة خير داري الآخرة، فهي نعم الدار، وأما جهنم فإنها بئس الدار.

الجنة نعم دار المتقين؛ لأنها مستقر الرحمة والنعيم المقيم ﴿ أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣)

فهي لكل تقي وكل تقية، لهم ولهن خالصة، هي ﴿ دَارُ الْمَقَامَةِ ﴾ (٤) أي الإقامة الأبدية، يحلون بها - يوم يحلون بها - فلا يملكونها، ولا يزهدون نعيمها، فطرائقها عليهم

(١) يونس ٢٥، النحل ٣٠، فاطر ٣٥.

(٢) راجع تفسير القرطبي - سورة يونس تفسير الآية ٢٥ جزء ٤ / ص ٣٢٥٥.

(٣) آل عمران: ١٣٣.

(٤) فاطر: ٣٥.

وعليهن متجددة، ولذاتها - فيهم وفيهن - متعاقبة، وهم وهن فيها على شباب دائم ورزق كريم؛ قال تعالى:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا^(١) حِدَائِقَ وَأَعْنَابًا^(٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا^(٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا^(٤)﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا^(٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حَسَابًا^(٦)﴾ [النبا - ٣١ - ٣٦].

الجنة - إذا - ميراث أهل التقوى شاء الله - سبحانه - أن تكون لهم ولهن ملكًا خالصًا أبدًا، قد تلقتهم وتلقتهن الملائكة مرحبين قائلين:

﴿تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وشكر أهل الجنة هذه النعمة التي أنعم الله - تعالى - عليهم بها:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ^(٥) مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

نعم؛ فقد دخلوا الجنة بفضل من الله - تعالى - عليهم - ونالوا درجاتهم بدخلها بسبب ما قدموا من عمل طيب.

وفي التنزيل العزيز:

(١) مكانًا يفوزون به في الجنة.

(٢) نساء شواب تكعبت أئداؤن على جمال رفيع، وهن - جميعًا على سن واحدة.

(٣) كأسًا مليئة بخمر الجنة.

(٤) حسابًا: ليس من الحساب، لكنها من قولك: حسبي، أي أعطاني الكثير الذي يدعوني أن أقول: حسبي. . أي أخذت ما يكفيني وزيادة.

(٥) نتبأ: نزل.

﴿ مِنْ عَمَلٍ صَالِحًا مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧].

﴿ مِنْ عَمَلٍ سَيِّئَةٍ فَلَا يَجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر : ٤٠]

لقد طابت الجنة لساكنيها بخمس ، في مقدمتها :

١ - رضوان الله - تعالى - الكامل الدائم على ساكنيها :

روى الإمام البخاري - بسنده إلى أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ - لأهل الجنة :

يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أَحَدًا من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا. »^(١).

٢ - وبميراثهم لها وامتلاكهم إياها ؛ وذلك منه - تعالى - حكم قديم - قال -

تعالى :

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ٦٣] ، وقوله - سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ^(٢) مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾

[الأنبياء : ١٠٥].

(١) صحيح البخاري (١١ / ١٨٧) ، ورواه الإمام مسلم (٩ / ٢٧٣) ، والإمام الترمذي (٤ / ٦٨٩).

(٢) زَبْرٌ : بَزَنَةٌ : نَصْرٌ : زَبْرُ الْكِتَابِ : كَتَبَهُ ، فَالْكِتَابُ مَزْبُورٌ وَزَبُورٌ ، وَالْمُرَادُ - مِنَ الْآيَةِ : كُلِّ

قال الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - عن «الأرض» في هذه الآية:

«يعني أرض الجنة» وهي كذلك عند الإمام المحلي قولاً واحداً. وقد تقدمت آيات في ذلك. وهذا ما يشهد به واقع الحال، فإنه يُمنع أن يكون المقصود الكرة الأرضية فما أكثر الصالحون عليها.

٣ - وخلودهم فيها أبداً. قال - تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

٤ - ورزقهم الكريم غير مقطوع فيها ولا ممنوع، قال - تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَكِهِينَ (١٨) بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٩) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٧ - ١٩].

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ (٢٣) فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ (٢٤)﴾ [الطور: ٢٢ - ٢٣].

﴿يَا عِبَادَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٢٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٣٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ (٣١) وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٢) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٣)﴾ [البقرة: ٢٨ - ٣٣].

الكتب السماوية المُنزلة «من بعد الذكر» أي اللوح المحفوظ فهو المقدم عليها، وعنه أخذت (عن مخلوف «صفوة البيان».

(١) فاكهين: متلذذين مسرورين.

(٢) يتجاذبون الكأس بينهم مداعبة ومرحاً.

(٣) ليس في هذا الشراب ما يحط من قدرهم فيصخبون بالكلام الساقط أو يتدافعون في ارتكاب محظور.

(٤) من الحبور، وهو السرور الذي يبدو أثره في الوجه.

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ [الزخرف ٦٨ - ٧٣].

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رُزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ ^(١) مُتَشَابِهًا ﴿ [البقرة : ٢٥].

﴿... وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [غافر : ٤٠].

٥ - ونسأوها ، وهن - من هذه : الخمس - عين النعيم لهن ولأزواجهن.

* * *

نساء الجنة:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿ [الطور : ١٧].

نعيم: يتقلب فيه التقي والتقية، من آدميات الأصل ومن الحور العين، فهن الزوجات: القاصرات الطَّرف^(٢)، الناعمات الحُسن، وهن - كأزواجهن - مطهرات خاليات من خبث الأمعاء وطبيعتها الدنيوية، نَظْفَنَ وَنَظَّفَ أزواجهن أبداناً؛ فلا ريح ولا خلاء، ولا مخاط، ولا أوجاع ولا أوصاب، لهن - جميعاً - من لذات الجسد ما شئن وشاء أزواجهن.

أولئكن الكواعب الأتراب^(٣)، والنواهد الأبكاء، والعُربُ الأطهار. الوسيئات الوضيئات: بسرور القلب ونضارة الوجه.

يتمتعن بوجه رَفَّتْ بَشْرَتُهُ فصارت أصفى من المرأة حتى ليرى زوجها الحبيب وجهه

(١) يشبه بعضه بعضاً في الصورة والرائحة ويختلف في اللذة والطعم، والشرف والمزية والحسن. انظر مخلوف.

(٢) الطرف: العين، فعيونهن قاصرات على أزواجهن لا تطمح - بطبيعتها لغيرهم.

(٣) الأتراب: جمع تَرَبٍّ، أي متساويات في السن، والكواعب جمع كاعب، وهي التي تَهْدَ لَدَيْهَا أي برز وارتفع مع استدارة تامة.

في خدها لما تلاً لأ من رقة وصفاء .

لو تَسَنَّى لإحداهن أن تشرق على أرضنا . . . أرض الدنيا لأضاءت منها السهل والجبل ، وخَسَفَتْ بالشمس والقمر ، ولانتشر عِبْقُهَا عِطراً من مسك الجنة يفوح بين السماء والأرض ، ويقمع عن الدنيا ريح البلاء .

رَقَّتْ غِلاثلهن^(١) ، فما تخفى منهن فتنة ، ولا تغط منهن أنوثة ، يشرق من غلاثلهن جسد فاتن ، ونهد قائم ، وساق وضيئة خلوب .

﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن : ٥٨] .

الياقوت بألوانه الشفافة ، والمرجان بحمرته اللطيفة ، تشبيهان ينمان عما لدى نساء الجنة من حُسْنٍ متجدد ، وبشر متهلل ، وإيناس كريم . لتعلم كم :

يُثْرِنُ الشوق كما يُجِدُّنُ الحب ، وَيَتَّقِنُ الغزل ، فللحبيب الزوج منهن ما شاء وأكثر ، ولهن منه ذلك على فُرْشٍ مرفوعة^(٢) ، وأرائك منصوبة ، وعافية موفورة كريمة العطاء .

والآدميات منهن ، لهن جزاء ما سبق لهن من حسنات الإيمان في الدنيا ، فإن الله لا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عملاً .

وهن ، والخور المنشآت للآخرة ، علونٌ جمالاً ، واستوينٌ حُسناً ودلالاً ، قد نُزِعَ منهن جميعاً ما يفسد الحب من غَيْرَةٍ وَحَسَدٍ ، وَسَفَهٍ ؛ لِتَعْمُرَ قُلُوبُهُنَّ بالحب ، وترتع بالود ، وتتعاشق بالدلال .

يُجِدُّنُ المرح حتى إذا اجتمعن تشابكت أيديهن ، وغرَدْنَ غناء بصوت طروب لم تسمعه الخلائق من قبل . وفي غنائهن حَمْدٌ لله - تعالى - وتسبيح وتقديس ، ومنه - في

(١) الغلالة : الثوب الشفاف ، وهي هنا شديد الشفافية .

(٢) مُعدَّة جاهزة .

أزواجهن وذواتهن :

«نحن الحورُ الحسنان هُدينا لأزواج كرام.

نحن الخالداتُ فلا نَمُتُهُ. نحن الآمَناتُ فلا نَخَفُنُهُ. نحن المقيماتُ فلا نَظَعُنُهُ

نحن الخيرات الحسنان. أزواج قوم كرام. ينظرون بِقَرَّةٍ أعيان»^(١).

لباسهنَّ الحرير .

وحليهنَّ الجوهر والتيجان المرصعة بما شاء الله - تعالى - من دُرٍّ إلى ما شاء من أساور من ذهب وفضة ، وما لا نعلمه ويعلمه الله - تعالى - من روائع الجمال والزينة .

قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج : ٢٣] .

روى ابن حبان بسنده إلى أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لو اطلَّعت امرأة من نساء أهل الجنة على أهل الأرض لأضاءت ما بينها، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»^(٢) .

وفي صحيح ابن حبان : «وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب»^(٣) .

ثم هذا الجمال الوافر وذاك الحسنُ الوضيء . .

(١) الغناء هذا ورد في حديثين صحيحين عند المنذري - الترغيب والترهيب (٣ / ١٣٧٩) (تحكيم الألباني - رحمه الله) ولأنهما صحيحان يدلان بمادتهما على أن للهور العين مجتمعاً يجتمع فيه ، إذ هن لا يغنين لرجل واحد .

(٢) الأمير علاء الدين علي بن بلبان - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩ / ٢٤٥) .

(٣) نفس المرجع (٩ / ٢٤٥) .

مَنْ الَّذِي يَجْتَلِيهِ، وَيَعْرِفُ قَدْرَهُ، وَيُحَسِّنُ إِطْرَاءَهُ، وَيَشْبَعُهُ غَزْلاً وَدَلالاً... ؟
 إِنَّ لَهُ مِنْ أَزْوَاجِهِنْ فَحَسْبُ مَنْ يَجْتَلِيهِ وَيَعْرِفُ قَدْرَهُ وَيُحَسِّنُ إِطْرَاءَهُ وَيَشْبَعُهُ غَزْلاً
 وَدَلالاً أَزْوَاجَ أَتَقِيَاءَ أَوْفِيَاءَ، قَرَنَاءَ مُخْلِصُونَ، مِثْلُهُنَّ تَمَامًا يَجِيدُونَ الْحُبَّ وَالْغَزْلَ،
 وَهُمْ وَهْنٌ جَمِيعًا عَلَى طَرَّازٍ وَاحِدٍ، قَالَ - عَنْهُ - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ
 مُرْدٌ كُحْلٌ، لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ»^(١) «أَبْنَاءُ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ
 سَنَةً»^(٢).

لَا شَعَثَ فِيهِمْ، وَلَا فِيهِنَّ، إِنَّمَا هُوَ جَمَالٌ دَافِقٌ، وَشَعْرٌ رَائِقٌ، وَحُسْنٌ شَائِقٌ.
 يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ زُمَرًا ثُمَّ يَنْتَهَوْنَ إِلَى الْأَزْوَاجِ مِنَ الْأَدْمِيَّاتِ وَالْحُورِ الْعِينِ.
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ، صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ،
 لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوِطُونَ»^(٣).
 «وَالَّذِينَ عَلَى أَثَرِهِمْ كَأَشَدَّ كَوْكَبِ إِضَاءَةٍ»^(٤).
 ثُمَّ جَمَاعَاتٌ لَا يَعْلَمُ عَدْدُهَا إِلَّا اللَّهُ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ثُمَّ أَفْرَادٌ حَتَّى النِّهَايَةِ.
 قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

«لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مَحٌّ سَوْقَهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحَسَنِ»^(٥) أَيْ

(١) الترمذي - الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي . رواه في (٤ / ٦٧٩)، وقال عنه:
 حديث حسن . وفي دراسة للألباني في الحديث قال: (صحيح) انظر للمنذري - الترغيب
 والترهيب (٣ / ١٣٥٢) بدراسة الألباني رحمهم الله.

(٢) نفس المرجع (٤ / ٦٨٣) - الترمذي ، عند الألباني : صحيح لغيره .

(٣) صحيح البخاري (٥ / ٢٨٧) إصدار المجلس الأعلى ط ثلاثة ١٤١٦ هـ.

(٤) صحيح البخاري (٥ / ٢٨٨).

(٥) صحيح البخاري (٤ / ٢٨٧).

زوجتان من نساء الدنيا^(١).

ولكل مؤمن أيضاً - في جنته - خِيَمَةٌ، له في زواياها حُورٌ عِين؛ فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال:

«إن في الجنة لخيمة من دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهلٌ ما يَرَوْنَ الآخِرِينَ، يطوف عليهم المؤمن»^(٢) أي يستمتع بهم ويستمتعون به.

لذا يُعْطَى المؤمن قوة مائة رجل في الجماع. ثم هم وهن أهل الجنة: «على نسخة آدم، وصورة يوسف، وقلب أيوب»^(٣) عليهم السلام.

* * *

(١) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦ / ٢٣١).

(٢) سنن الترمذي (٤ / ٦٧٤)، وانظر عبارة ابن القيم الواردة بفتح الباري (٦ / ٢٣١) ويبدو - والله أعلم - أن التذكير في قوله (يطوف عليهم) راجع لتذكير لفظ (أهل).

(٣) الألباني - سلسلة الأحاديث الصحيحة (الجمع . . . التي جمعت في مجلد واحد) ص ٢٧٢ ورواه المنذري - في الترغيب والترهيب - بلفظ (مسحة) وروايته بنون تقرب المعنى كثيراً. والله أعلم.

معارجُ التَّقْوَى

التقوى - إذا- خير زاد يكتسبه المؤمن ، وتكتسبه المؤمنة ، كلٌ لدينه ودنياه ؛ فهي للدين وقاية من غضب الله - عز وجل ، وعصمة من التهاون في شرعه ، ثم هي وسيلة كلٌ لا وسيلة غيرها للجنة ، ثم هي للدنيا صلاح ؛ لأنها سلام بين المؤمن والمؤمنة وبين الناس ، قال -تعالى :

﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

والتعبير الإلهي يعطينا التقوى في شكل رداء .

وفي الحق أنه إذا كان الرداء يخفي باطنه ما اشتمل عليه الجسد من عيوب وسوءات ، ويبيد ظاهره ما للإنسان من رياش وزينات ، فإن للتقوى ثوب أعلى وأظهر يجعل باطن النفس على خير طهر وصفاء ، وظاهرها على خير جمال ورؤاء .

ولما للتقوى من منزلة خطيرة ، شاء الله -تعالى - ألا يتركها وصفاً عاماً يتداوله المنسرون في ضوء حصيلتهم العلمية واجتهاداتهم العقلية ، فيضعوا لها تفاسير شتى ، وأسباباً عدة ؛ بل عمد - سبحانه وتعالى - إليها فبين « بذور » نباتها ؛ لنعلم سنابل الخير من ثمراتها ، فإذا قوام أمرها في خمسة أشياء ، ذكرها سبحانه وتعالى - في مطلع سورة البقرة - فقال - عز من قائل :

﴿ أَلَمْ يَكُنْ أُولَٰئِكَ الْكُتَّابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ .